مقدمة

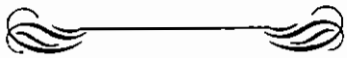

الحمد لله رب العالمين، والصلاة والسلام على سيد الخلق، سيدنا محمد ـ ﷺ ـ وعلى آله وصحبه، وعلى كل من سار على نهجه واهتدى بهديه، إلى يوم الدين.

وبعد :

فإن مقام النصيحة في الإسلام، من أعلى المقامات، وأشرف القربات إلى الله تعالى، فعَنْ سُهَيْلٍ عَنْ عَطَاءِ بْنِ يَزِيدَ عَنْ تَمِيمٍ الدَّارِيِّ أَنَّ النَّبِيَّ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ قَالَ : " **الدِّينُ النَّصِيحَةُ قُلْنَا لِمَنْ قَالَ لِلَّهِ وَلِكِتَابِهِ وَلِرَسُولِهِ وَلِأَئِمَّةِ الْمُسْلِمِينَ وَعَامَّتِهِمْ** ". (١)

وهذا الحديث كما قال أبو داود:

أحد الأحاديث التي يدور عليها الفقه.

وقال الحافظ أبو نعيم: هذا الحديث له شأن عظيم.

وذكر محمد بن أسلم الطوسي أنه أحد أرباع الدين". (٢) .

والنصيحة هي: الدعاء إلى ما فيه الصلاح، والنهي عما فيه الفساد". (٣)

---

(١) رواه مسلم .

(٢) أبو الفرج عبد الرحمن بن شهاب الدين أبن أحمد بن رجب الحنبلي / جامع العلوم والحكم / القاهرة دار الحديث ط الخامسة ١٩٨٠ م ص٩٣ .

(٣) الشريف علي بن محمد الجرجاني / التعريفات / لبنان بيروت دار الكتب العلمية ط الأولى ١٩٨٣م ص٢٤١.

obeikandl.com

والنصح " عبارة عن إرادة الخير للمنصوح له. قال الحافظ ابن رجب: النصيحة خصال الإسلام والإيمان والإحسان" (١).

ولهذا صارت النصيحة من أعظم مظاهر الدين، وبغيته، وخلاصته.

ولا نبالغ إذا قلنا: إن الدين لا يُفهم ولا يتحقق إلا بها، فهما ـ أي الدين والنصيحة ـ صنوان متلازمان.

لأن" النصيحة تشمل خصال الإسلام والإيمان والإحسان، التي ذكرت في حديث جبريل عليه السلام، وسمى ذلك كله دينًا.

فإن النصح لله يقتضي القيام بأداء واجباته على أكمل وجوهها، وهو مقام الإحسان. فلا يكمل النصح لله بدون ذلك، ولا يتأتى ذلك بدون كمال المحبة الواجبة والمستحبة،

ويستلزم ذلك الاجتهاد في التقرب إليه بنوافل الطاعات على هذا الوجه، وترك المحرمات والمكروهات على هذا الوجه أيضًا". (٢)

قال وهب بن منبه عن النصيحة: " إذا أردت أن تعمل بطاعة الله عز وجل فاجتهد في نصحك وعملك لله، فإن العمل لا يُقبل ممن ليس بناصح، والنصح لله لا يكمل إلا بطاعة الله، كمثل الثمرة الطيبة، ريحها وطعمها، كذلك مثل طاعة الله، النصح ريحها، والعمل طعمها". (٣)

وسُئل" عن رجلين يصليان. أحدهما أطول قنوتًا وصمتًا، والآخر

---

(١) الشيخ محمد السفاريني الحنبلي/ غذاء الألباب شرح منظومة الآداب/ نشرة مؤسسة قرطبة ط الثانية١٩٩٣م ٤٣،٤٤

(٢)جامع العلوم والحكم ص٩٥

(٣)الحافظ عماد الدين أبي الفداء إسماعيل بن كثير القرشي الدمشقي / البداية والنهاية / القاهرة دار الغد العربي ط الأولى١٩٩٧م ٥/ ٣٣٠-٣٣٤

أطول سجودًا، فأيهما أفضل؟ قال: أنصحهما لله عز وجل" [١].

وعندما عذر الله تعالى أقوامًا في القعود عن الجهاد، وعدم الإنفاق في سبيل الله، كان هذا العذر مشروطا بعدم ادخار النصيحة، لله ولرسوله ولعامة المسلمين، قال الله تعالى:﴿ لَّيْسَ عَلَى ٱلضُّعَفَآءِ وَلَا عَلَى ٱلْمَرْضَىٰ وَلَا عَلَى ٱلَّذِينَ لَا يَجِدُونَ مَا يُنفِقُونَ حَرَجٌ إِذَا نَصَحُوا۟ لِلَّهِ وَرَسُولِهِۦ ۚ مَا عَلَى ٱلْمُحْسِنِينَ مِن سَبِيلٍ ۚ وَٱللَّهُ غَفُورٌ رَّحِيمٌ ﴿٩١﴾ ﴾. [التوبة:٩١].

ولذلك كانت النصيحة منهاج ودأب كل نبي ورسول.

فنوح عليه السلام أخبر قومه أن مقامه معهم هو مقام النصح والإرشاد فقال لهم:﴿ أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنصَحُ لَكُمْ وَأَعْلَمُ مِنَ ٱللَّهِ مَا لَا تَعْلَمُونَ ﴿٦٢﴾ ﴾[الأعراف: ٦٢].

وكذلك نبي الله هود عليه السلام، عندما أخبرهم بأنه أمين في نصحه لهم، غير مُقَصِّر أو مُفَرِّط فقال لهم: ﴿أُبَلِّغُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّى وَأَنَا۠ لَكُمْ نَاصِحٌ أَمِينٌ ﴿٦٨﴾ ﴾[الأعراف: ٦٨].

وهي أيضًا منهاج ودأب كل صالح ومصلح من بعدهما، يُبْصر الخطأ في الآخرين فيصوبه، والخطر فيُبعد عنه، ويتحقق من الهداية فيرشد إليها، ومن الضلالة فيُصرف عنها. كما فعل ناصح موسى بالخروج من مصر، لأن الملأ يأتمرون لقتله فقال له: ﴿يَٰمُوسَىٰٓ إِنَّ ٱلْمَلَأَ يَأْتَمِرُونَ بِكَ لِيَقْتُلُوكَ فَٱخْرُجْ إِنِّى لَكَ مِنَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٢٠﴾ ﴾[القصص ٢٠].

هذا ولا يرفض النصيحة إلا كل ضال مغرور، فَاقَد الثقة في ناصحه، قد ملأ قلبه الكبر، وكَرِه الرضوخ للحق، لأن كل نصح يؤدي إليه، ليحيط

(١)المصدر السابق٥/ ٣٦٧.

به الخسران، ويندم بعد ذلك حين لا ينفع الندم.

إن العقول ضيقة الأفق، والقلوب المريضة، ليست مؤهلة لاستيعاب وتَقَبُّل ما ينفعها، وهي قادرة ءا أن تصيب كل مصلح بالإحباط.

ولا تَفْهم أن لكل ناصح طاقة تنفد، وحد يكف عنده عن نصح غيره.

فنبي الله صالح عندما تيقن أنه لا فائدة من نصحه لقومه كف عن نصحه ﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَالَةَ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ وَلَٰكِن لَّا تُحِبُّونَ ٱلنَّٰصِحِينَ ﴿٧٩﴾ ﴾[الأعراف : ٧٩] .وكذلك فعل نبي الله شعيب﴿ فَتَوَلَّىٰ عَنْهُمْ وَقَالَ يَٰقَوْمِ لَقَدْ أَبْلَغْتُكُمْ رِسَٰلَٰتِ رَبِّي وَنَصَحْتُ لَكُمْ ۖ فَكَيْفَ ءَاسَىٰ عَلَىٰ قَوْمٍ كَٰفِرِينَ ﴿٩٣﴾ ﴾[الأعراف: ٩٣] .

ومن هذا المنطلق جاءت فكرة هذا الكتاب، منطلق النصح والإرشاد، وقد رأيت أن أتوجه بهما إلى أعز ما نملك، وهم أبناؤنا. فكل ما أردت أن أنصح به أبنائي توجهت به إلى أبناء المسلمين، حتى تعم المنفعة.

وقد اعتقدت أن تخصيص أبنائي بهذه النصائح المتواضعة، دون أبناء المسلمين، يحمل كل معاني الخيانة والغش لكل مسلم ومسلمة.

وما أباح قول النَّبيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : « لَا يُؤْمِنُ أَحَدُكُمْ حَتَّى يُحِبَّ لِأَخِيهِ مَا يُحِبُّ لِنَفْسِهِ» (١) ، لأحد أن يدخر شيئًا يراه نافعًا للمسلمين، أو يتكتم عنهم ما يمكن أن يحقق لهم السعادة في الدنيا والآخرة وكل من يدخر أو يكتم آثم لا محالة، وناقص إيمانه، لن يكتمل إلا بزوالهما.

ولمخافة الإثم والنقصان كان هذا الكتاب... والله من وراء القصد

(١)متفق عليه من حديث أنس.

١ـ الإخلاص

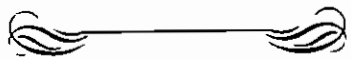

اعلم يا بني ويابنيتي أن الإخلاص هو وصف الصالحين من عباد الله تعالى، من أنبيائه ورسله، وكل من سلك مسلكهم من أتباعهم.

وهو سر بين العبد وربه، ولذلك لا يعلم المخلصين غيره تعالى، ولا يملك أحد ادعاءه.

وقد أمر الله تعالى كل عابد به فقال في غير موضع:

﴿ وَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾[الأعراف:٢٩].

﴿ فَٱدْعُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ وَلَوْ كَرِهَ ٱلْكَٰفِرُونَ ﴿١٤﴾ ﴾[غافر:١٤].

﴿ فَٱدْعُوهُ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ ﴾ [غافر:٦٥].

﴿ وَمَآ أُمِرُوٓاْ إِلَّا لِيَعْبُدُواْ ٱللَّهَ مُخْلِصِينَ لَهُ ٱلدِّينَ حُنَفَآءَ ﴾ [البينة: ٥].

فما هو الإخلاص يا بني؟

اعلم أن آراء العلماء قد تعددت فيه على أقوال، كلها تؤدي إليه، وتدل عليه" فمنهم من قال: هو إفراد الله بالقصد في الطاعة.

ومنهم من قال: هو تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين، وإعجاب الفاعل بنفسه.

وقال أبو عثمان: الإخلاص: نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الحق.

وقيل: هو استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن.

obeikandl.com

وقيل: هو ألا تطلب على عملك شاهدًا غير الله تعالى.

وباختصار: فإن تصفية العمل من كل شائبة هو الإخلاص لله تعالى"[١].

و" **قال الاستاذ الشيخ:** الإخلا ص إفراد الحق سبحانه في الطاعة بالقصد، وهو أن يريد بطاعته التقرب إلى الله سبحانه دون شي آخر من تصنع لمخلوق، أو اكتساب صفة حميدة عند الناس، أو محبة مدح من الخلق، أو معنى من المعاني سوى التقرب به إلى الله تعالى.

ويصح أن يقال: الإخلاص تصفية الفعل عن ملاحظة المخلوقين، ويصح أن يقال: الإخلاص التوقي عن ملاحظة الأشخاص" [٢].

و"قيل: من شهد في إخلاصه الإخلاص احتاج إخلاصه إلى إخلاص، فنقصان كل مخلص في إخلاصه: بقدر رؤية إخلاصه، فإذا سقط عن نفسه رؤية الإخلاص صار مخلصًا.

وقيل: الإخلاص استواء أعمال العبد في الظاهر والباطن.

والرياء: أن يكون ظاهره خيرًا من باطنه.

والصدق في الإخلاص: أن يكون باطنه أعمر من ظاهره.

وقيل: الإخلاص: نسيان رؤية الخلق بدوام النظر إلى الخالق. ومن تزين للناس بما ليس فيه سقط من عين الله.

ومن كلام الفضيل.. ترك العمل من أجل الناس: رياء، والعمل من أجل

---

(١)سعد يوسف محمود أبو عزيز / موسوعة الأخلاق الإسلامية / القاهرة المكتبة التوفيقية ١/ ٢٣، ٢٤ .

(٢)العلامة العارف بالله أبي القاسم عبد الكريم بن هوازن القشيري النيسابوري / الرسالة القشيرية في علم التصوف / بيروت دار الخير ط الثالثة ١٩٩٧م ص٢٠٧، ٢٠٨.

الناس: شرك. والإخلاص: أن يعافيك الله منهما "[١].

وقال ابن عطاء الله في الحكم: " الأعمال صور قائمة، وأرواحها وجود سر الإخلاص فيها.

قلت: الأعمال كلها أشباح وأجساد، وأرواحها وجود الإخلاص فيها، فكما لا قيام للأشباح إلا بالأرواح، وإلا كانت ميتة ساقطة، كذلك لا قيام للأعمال البدنية والقلبية إلا بوجود الإخلاص فيها، وإلا كانت صورًا قائمة، وأشباحًا خاوية لا عبرة بها". [٢]

وقيل: الإخلاص تصفية الأعمال من الكدورات.

وقيل: الإخلاص سر بين العبد وبين الله تعالى، لا يعلمه ملك فيكتبه، ولا شيطان فيفسده، ولا هوى فيميله.

والفرق بين الإخلاص والصدق: أن الصدق أصل، وهو الأول، والإخلاص فرع، وهو تابع.

وفرق آخر: الإخلاص لا يكون إلا بعد الدخول في العمل".[٣]

أي بني من ذا الذي يستحق أن تتوجه إليه بقلبك دون الله تعالى؟ ، من ذا الذي يعدل الله تعالى لتشركه في نيتك، فتصلي أو تصوم أو تحج أو تتصدق أو تجاهد ليراك الناس، أو ليمدحوك ؟ .

ولو فعلوا ذلك ما نفعوك.

---

(١) ابن القيم / مدارج السالكين بين إياك نعبد وإياك نستعين / بيروت دار الكتاب العربي ط الثانية ١٩٧٣م ٢/ ٩١.

(٢)العارف بالله أحمد بن محمد بن عجيبة الحسني / إيقاظ الهمم في شرح الحكم / تقديم ومراجعة محمد أحمد حسب الله القاهرة دار المعارف ١٩٨٥ ص٤٩

(٣)التعريفات ص١٤.

إن عدم وجود الإخلاص في القلب خسارة بينة، ومصيبة المصائب، إذ لا ينفع ولا يُقبَل عمل بدونه، ولا يُسمع لقول لا إخلاص فيه.

أي بني ابحث عن الإخلاص في قلبك، فإن وجدته فلا يحزنك قليل العمل، ولا تزدريه.

وإن لم تجده فلا تفرح بسراب، لأنك وكل عملك إلى النار.

يا بني ليس هذا قولي، ولا حكمي، بل هو قول الله تعالى وحكمه،فَعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ ، قَالَ : قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " قَالَ اللَّهُ تَبَارَكَ وَتَعَالَى : أَنَا أَغْنَى الشُّرَكَاءِ عَنِ الشِّرْكِ ، مَنْ عَمِلَ عَمَلًا أَشْرَكَ فِيهِ مَعِي غَيْرِي تَرَكْتُهُ وَشِرْكَهُ "". (١)

وَعَنْه رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ:سمعْتُ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللهُ عَلَيْهِ وسَلَّم يَقُولُ : « إِنَّ أَوَّلَ النَّاسِ يُقْضَى يوْمَ الْقِيَامَةِ عَلَيْهِ رجُلٌ اسْتُشْهِدَ ، فَأُتِيَ به ، فَعرَّفَهُ نِعْمَتَهُ ، فَعَرفَهَا، قالَ : فَمَا عَملْتَ فِيها ؟ قَالَ : قَاتَلْتُ فِيكَ حَتَّى اسْتُشْهِدْتُ : قالَ كَذَبْتَ ، وَلكِنَّكَ قَاتلْتَ لأَنْ يُقالَ جَرِيء ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أمِرَ به فَسُحِبَ عَلى وَجْهِه حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّار . وَرَجُل تَعلَّم الْعلْمَ وعَلَّمَهُ ، وقَرَأَ الْقُرْآنَ ، فَأُتِيَ به ، فَعَرَّفَهُ نعَمهُ فَعَرَفَهَا . قَالَ : فَمَا عملْتَ فِيهَا ؟ قالَ : تَعلَّمْتُ الْعلْمَ وَعَلَّمْتُهُ ، وَقَرَأْتُ فِيكَ الْقُرآنَ ، قَالَ : كَذَبْتَ ، ولكِنَّك تَعَلَّمْت الْعِلْمَ وَعَلَّمْتُهُ ، وقَرَأْتُ الْقرآن لِيقَالَ : هو قَارِيءٌ ، فَقَدْ قِيلَ ، ثُمَّ أمِرَ ، فَسُحِبَ عَلى وَجْهِه حَتَّى أُلْقِيَ فِي النَّار ، وَرَجُلٌ وسَّعَ اللَّهُ عَلَيْه ، وَأَعْطَاه مِنْ أَصنَافِ الْمَال ، فَأُتِي به فَعرَّفَهُ نعمَهُ ، فَعَرَفَهَا . قال : فَمَا عَملْت فيها ؟ قال : ما تركتُ مِن سَبِيلٍ تُحِبُّ أَنْ يُنْفَقَ فيهَا إِلاَّ أَنْفَقْتُ فيها لَك . قَالَ : كَذَبْتَ ، ولكِنَّكَ فَعَلْتَ لِيُقَالَ : هو جَوَادٌ فَقَدْ قِيلَ ،

(١) رواه مسلم.

ثُمَّ أمِرَ بِهِ فَسُحِبَ عَلَى وجْهِهِ ثُمَّ أُلْقِيَ في النار »".(١)

عَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: " مَنْ تَعَلَّمَ عِلْمًا مِمَّا يُبْتَغَى بِهِ وَجْهُ اللَّهِ عَزَّ وَجَلَّ لَا يَتَعَلَّمُهُ إِلَّا لِيُصِيبَ بِهِ عَرَضًا مِنْ الدُّنْيَا ، لَمْ يَجِدْ عَرْفَ الْجَنَّةِ يَوْمَ الْقِيَامَةِ يَعْنِي رِيحَهَا " .(٢)

عن ابْنِ عَبّاسٍ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُما قَالَ: قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ: "مَنْ سَمّعَ سَمّعَ اللّه بِهِ. وَمَنْ رَاءَى رَاءَى اللّه بِهِ". (٣)

ومعنى سمّع الله به أي فضحه الله يوم القيامة على رؤوس الأشهاد، ومعنى راءى الله به" أي: أظهر سريرته على رءوس الخلائق.

عَنْ أَبِي أُمَامَةَ الْبَاهِلِيِّ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ ، قَالَ : " جَاءَ رَجُلٌ إِلَى النَّبِيِّ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ، فَقَالَ : أَرَأَيْتَ رَجُلا غَزَا يَلْتَمِسُ الأَجْرَ وَالذِّكْرَ مَا لَهُ ؟ فَقَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لا شَيْءَ لَهُ ، فَأَعَادَهَا ثَلاثَ مَرَّاتٍ ، يَقُولُ لَهُ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : لا شَيْءَ لَهُ ، ثُمَّ قَالَ : إِنَّ اللَّهَ لا يَقْبَلُ مِنَ الْعَمَلِ إِلا مَا كَانَ لَهُ خَالِصًا وَابْتُغِيَ بِهِ وَجْهُهُ " .(٤)

وعَنْ أَبِي هُرَيْرَةَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُ قَالَ قَالَ رَسُولُ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ : " إِنَّ اللَّهَ لَا يَنْظُرُ إِلَى صُوَرِكُمْ وَأَمْوَالِكُمْ وَلَكِنْ يَنْظُرُ إِلَى قُلُوبِكُمْ وَأَعْمَالِكُمْ ".(٥)

هل رأيت يا بني الرياء والنفاق، وهما ضد الإخلاص، ما فعلا بأصحابهما؟ أي خسارة وأي ندامة تلحق بمن ترك الإخلاص، ولم يحرص

(١) رواه مسلم.
(٢) رواه أبو داود .
(٣) متفق عليه.
(٤) رواه النسائي
(٥) رواه مسلم

عليه؟ ، فالله سبحانه وتعالى" كما لا يحب العمل المشترك، لا يحب القلب المشترك. العمل المشترك لا يقبله، والقلب المشترك لا يُقْبِل عليه.

قلت: العمل المشترك: هو الذي تحبه الحظوظ النفسانية، دنيوية أو أخروية.

والقلب المشترك: هو الذي يكون فيه حب السّوى. فالعمل الذي تصحبه الحظوظ مدخول، والمدخول غير مقبول".[١]

واعلم يا بني أن الإخلاص مع فضله ـ وأهميته ـ في قبول الأعمال لا يكفي وحده ، إذ لا بد أن يكون العمل موافقًا لكتاب الله تعالى وسنة رسوله، فلا تكفي النية الصادقة، مع العمل السيئ، كما يتوهم بعض العوام، الذين لا يأبهون بموافقة العمل للشرع، ما دامت نيتهم طيبة.

وهذا وهم وتخبط، وضلالة النفس، ووسوسة الشيطان، ولذلك قال الفضيل بن عياض في تفسير قوله تعالى: ﴿ ٱلَّذِى خَلَقَ ٱلْمَوْتَ وَٱلْحَيَوٰةَ لِيَبْلُوَكُمْ أَيُّكُمْ أَحْسَنُ عَمَلًا ۚ وَهُوَ ٱلْعَزِيزُ ٱلْغَفُورُ ﴿٢﴾ ﴾ [الملك: ٢] .

"هو أخلصه وأصوبه قالوا: يا أبا علي ما أخلصه وأصوبه فقال: إن العمل إذا كان خالصًا ولم يكن صوابًا لم يقبل. وإذا كان صوابًا ولم يكن خالصًا، لم يقبل حتى يكون خالصًا صوابًا.

والخالص: أن يكون لله. والصواب أن يكون على السنة ثم قرأ قوله تعالى: ﴿ فَمَن كَانَ يَرْجُوا۟ لِقَآءَ رَبِّهِۦ فَلْيَعْمَلْ عَمَلًا صَٰلِحًا وَلَا يُشْرِكْ بِعِبَادَةِ رَبِّهِۦٓ أَحَدًۢا ﴿١١٠﴾ ﴾ [الكهف: ١١٠] .[٢]

---

(١) إيقاظ الهمم في شرح الحكم ص٤٣٧

(٢) مدارج السالكين ٢/ ٩٠

فاحذر يا بني أن يكون عملك ممن قال الله تعالى فيه:﴿ وَقَدِمْنَآ إِلَىٰ مَا عَمِلُوا۟ مِنْ عَمَلٍ فَجَعَلْنَٰهُ هَبَآءً مَّنثُورًا ﴿٢٣﴾ ﴾[الفرقان:٢٣] .

فالله عدل لا يظلم العباد، وليس كل عمل يُذهبه ويبطله على صاحبه، وإنما يُذهب ويُبطل كل عمل فاسد، أو كل عمل صالح أشرك فيه معه غيره، لأنه لم يكن خالصًا لوجهه الأعظم الأكرم.

وهو العمل الذي بينه الله تعالى بقوله:﴿ قُلْ إِنَّ صَلَاتِى وَنُسُكِى وَمَحْيَاىَ وَمَمَاتِى لِلَّهِ رَبِّ ٱلْعَٰلَمِينَ ﴿١٦٢﴾ لَا شَرِيكَ لَهُۥ ۖ وَبِذَٰلِكَ أُمِرْتُ وَأَنَا۠ أَوَّلُ ٱلْمُسْلِمِينَ ﴿١٦٣﴾ ﴾ [الأنعام: ١٦٢، ١٦٣] .

إنه يا بني" التجرد الكامل لله، بكل خالجة في القلب، وبكل حركة في الحياة.

بالصلاة والاعتكاف. وبالمحيا والممات.

بالشعائر التعبدية، وبالحياة الواقعية، وبالممات وما وراءه.

إنها تسبيحة "التوحيد" المطلق والعبودية الكاملة، تجمع الصلاة والاعتكاف والمحيا والممات، وتخلصها لله وحده. لله "رب العالمين".. القوّام المهيمن المتصرف المربي الموجه الحاكم للعالمين.. في إسلام كامل، لا يستبقي في النفس ولا في الحياة بقية لا يعبدها لله، ولا يحتجز دونه شيئًا في الضمير ولا في الواقع". (١)

واعلم يا بنيَ أن العمل إذا توفر فيه هذان الشرطان ـ الإخلاص وموافقة العمل للشرع ـ انتفع به صاحبه ورجا خيره وثوابه، وأنتج ثماره

(١)سيد قطب / في ظلال القرآن / القاهرة دار الشروق ط الثالثة عشر ١٩٨٧ م ٣/ ١٢٤١،١٢٤٠

الطيبة الزكية، التي تسعد صاحبه دنيا وآخرة.

وإذا تقرب به العبد لربه تحقق له القرب، وفرح به، وإذا توسل به العبد في أمر، أستجيب له، وقُضي له أجله.

فليس مثل الأعمال الصالحة من وسيلة نافذة، وحجة متفق عليها.

وفي هذه القصة خير دليل على ذلك، عَنْ نَافِعٍ ، عَنْ ابْنِ عُمَرَ رَضِيَ اللَّهُ عَنْهُمَا ، أَنَّ رَسُولَ اللَّهِ صَلَّى اللَّهُ عَلَيْهِ وَسَلَّمَ ، قَالَ : " بَيْنَمَا ثَلَاثَةُ نَفَرٍ مِمَّنْ كَانَ قَبْلَكُمْ يَمْشُونَ إِذْ أَصَابَهُمْ مَطَرٌ فَأَوَوْا إِلَى غَارٍ فَانْطَبَقَ عَلَيْهِمْ ، فَقَالَ : بَعْضُهُمْ لِبَعْضٍ إِنَّهُ وَاللَّهِ يَا هَؤُلَاءِ لَا يُنْجِيكُمْ إِلَّا الصِّدْقُ فَلْيَدْعُ كُلُّ رَجُلٍ مِنْكُمْ بِمَا يَعْلَمُ أَنَّهُ قَدْ صَدَقَ فِيهِ ، فَقَالَ : وَاحِدٌ مِنْهُمُ اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَجِيرٌ عَمِلَ لِي عَلَى فَرَقٍ مِنْ أَرُزٍّ فَذَهَبَ وَتَرَكَهُ ، وَأَنِّي عَمَدْتُ إِلَى ذَلِكَ الْفَرَقِ فَزَرَعْتُهُ فَصَارَ مِنْ أَمْرِهِ أَنِّي اشْتَرَيْتُ مِنْهُ بَقَرًا وَأَنَّهُ أَتَانِي يَطْلُبُ أَجْرَهُ ، فَقُلْتُ لَهُ : اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ فَسُقْهَا ، فَقَالَ لِي : إِنَّمَا لِي عِنْدَكَ فَرَقٌ مِنْ أَرُزٍّ ، فَقُلْتُ لَهُ : اعْمِدْ إِلَى تِلْكَ الْبَقَرِ فَإِنَّهَا مِنْ ذَلِكَ الْفَرَقِ فَسَاقَهَا فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ ، فَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي أَبَوَانِ شَيْخَانِ كَبِيرَانِ ، فَكُنْتُ آتِيهِمَا كُلَّ لَيْلَةٍ بِلَبَنِ غَنَمٍ لِي فَأَبْطَأْتُ عَلَيْهِمَا لَيْلَةً فَجِئْتُ وَقَدْ رَقَدَا وَأَهْلِي وَعِيَالِي يَتَضَاغَوْنَ مِنَ الْجُوعِ فَكُنْتُ لَا أَسْقِيهِمْ حَتَّى يَشْرَبَ أَبَوَايَ ، فَكَرِهْتُ أَنْ أُوقِظَهُمَا وَكَرِهْتُ أَنْ أَدَعَهُمَا فَيَسْتَكِنَّا لِشَرْبَتِهِمَا ، فَلَمْ أَزَلْ أَنْتَظِرُ حَتَّى طَلَعَ الْفَجْرُ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا فَانْسَاحَتْ عَنْهُمُ الصَّخْرَةُ حَتَّى نَظَرُوا إِلَى السَّمَاءِ ، فَقَالَ الْآخَرُ : اللَّهُمَّ إِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنَّهُ كَانَ لِي ابْنَةُ عَمٍّ مِنْ أَحَبِّ النَّاسِ إِلَيَّ وَأَنِّي رَاوَدْتُهَا عَنْ نَفْسِهَا فَأَبَتْ إِلَّا أَنْ آتِيَهَا بِمِائَةِ دِينَارٍ ، فَطَلَبْتُهَا حَتَّى قَدَرْتُ فَأَتَيْتُهَا بِهَا فَدَفَعْتُهَا إِلَيْهَا فَأَمْكَنَتْنِي

مِنْ نَفْسِهَا فَلَمَّا قَعَدْتُ بَيْنَ رِجْلَيْهَا ، فَقَالَتْ : اتَّقِ اللَّهَ وَلَا تَفُضَّ الْخَاتَمَ إِلَّا بِحَقِّهِ فَقُمْتُ وَتَرَكْتُ الْمِائَةَ دِينَارٍ فَإِنْ كُنْتَ تَعْلَمُ أَنِّي فَعَلْتُ ذَلِكَ مِنْ خَشْيَتِكَ فَفَرِّجْ عَنَّا فَفَرَّجَ اللَّهُ عَنْهُمْ فَخَرَجُوا". (١)

انظر يا بني إلى قيمة الإخلاص في العمل، الذي لولاه ما انتفع الثلاثة بأعمالهم السابقة التي ذكروها، ورجوا جميعًا نفعها في هذه الضائقة المميتة، بعد أن عجزت قواهم عن دفعها، وتحقق لهم الهلاك.

هذا هو الإخلاص وثماره، وهؤلاء هم المخلصون حقًا، وغيرهم أدعياء مفترون، فليس كل من تمسح به صار صاحبه، وليس كل من تكلم عنه صار عالمًا به، وليس كل من يطلبه يدركه، إلا من اُختُص من البداية، بعظيم الرعاية.

ولهذا " لا يُسمى المخلص مخلصًا حتى يفرد الله عز وجل من الأشياء والأنداد والصاحبة والأولاد. ثم إرادته الله بإقامة التوحيد، وجمع الهم له وبه في النفل والفرض". (٢)

اعلم يابني علم اليقين أنه" ما هاهنا إلا الخالق عز وجل، فإن كنت مع الخالق فأنت عبده، وإن كنت مع الخلق فأنت عبدهم، لا كلام لك حتى تقطع القيافي والقفار من حيث قلبك، وتفارق الكل من حيث سرك، أمَا تعلم أن طالب الحق عز وجل مفارق الكل، قد تيقن أن كل شيء من المخلوقات حجاب بينه وبينه عز وجل.

---

(١) متفق عليه.

(٢) أبوعبد الله الحارث بن أسد المحاسبي البري/ رسالة المسترشدين/ تحقيق عبد الفتاح أبو عزة سورية مكتبة المطبوعات الإسلامية بحلب ط الرابعة ١٩٨٢م ١٧٢، ١٧٣، ١٧٤ .

مع أي شيء وقف انحجب به". (١)

أما الرياء يا بني فهو الداء الماحق، الذي يمحق الحسنات ويُبقي السيئات، ليتحسر صاحبه على الممحوق، ويشقى بالموجود.

إنه الداء الذي يمكر بصاحبه ليرديه، من خلال لذة زائفة، باطلاع الخلق على عمله، أو الثناء عليه.

فيحرص على عمل لا ينفعه، وثناء منقطع. ويُظهر للناس أجمل ما فيه، وكل باطنه خواء، يُظهر الحَسَن، ويُبقي لله تعالى كل قبيح، فالمرائي" ثوبه نظيف وقلبه نجس، يزهد في المباحات، ويكسل عن الاكتساب، ويأكل بدينه ولا يتورع جملة، يأكل الحرام الصريح، يُخفي أمره على العوام، ولا يخفى على الخواص، كل زهده وطاعته على ظاهره، ظاهره عامر وباطنه خراب". (٢)

والمرائي بريائه يكون قد ضرب عقيدته في مقتل، وأتى على بنيانها من القواعد لأن" من دعائم التوحيد، عدم صرف شيء من العبادة لغير الله المعبود، وتحريم تقديم شيء من لوازم الألوهية لغير الله مما في الوجود، وركيزته إخلاص ليس فيه رياء، وعلامته إخبات ليس معه ادعاء". (٣)

وعلامة المرائي أنه دائما" يحب الحمد على طاعة الله عز وجل ويكره الذم، فيدع الطاعة من أجل الذم.

وإذا عمل عملًا لم يعلم به غير الله عز وجل، أو علم علمًا لم يعلم به إلا

---

(١) المصدر السابق ص٢٨، ٢٩.

(٢) المصدر السابق ص٤٤.

(٣) د.عائض القرني / مقامات عائض القرني / السعودية مكتبة العبيكان ط السادسة ١٤٢٩، ٢٠٠٨م ص٤٤.

الله لم تقنع نفسه في عمله بعلم الله عز وجل ونظره وسمعه وحدَه، حتى يغلب على قلبه الطالب لعلم غيره.

يهتم لذلك، فإن اطلعوا عليه ارتاح قلبه لذلك وسُرَّ بحمدهم. وأخَفُّ الناس عليه من حمَده وأثنى عليه، وأثقلهم من ترك حمده والثناء عليه".[١]

ويجب أن" يقال للعالم: اشتغل بالعلم واترك مراءاة الخلق، كما يقال لمن خالجه الرياء في الصلاة: لا تترك العمل، ولكن أتمم العمل وجاهد نفسك. فاعلم أن فضل العلم كبير وخطره عظيم كفضل الخلافة والإمارة، ولا نقول لأحد من عباد الله: اترك العلم إذ ليس في نفس العلم آفة، وإنما الآفة في إظهاره بالتصدي للوعظ والتدريس ورواية الحديث.

ولا نقول له أيضًا ما دام يجد في نفسه باعثًا دينيًا ممزوجًا بباعث الرياء.

أما إذا لم يحركه إلا الرياء، فترك الإظهار أنفع له وأسلم. وكذلك نوافل الصلوات إذا تجرد فيها باعث الرياء وجب تركها .

أما إذا خطر له وساوس الرياء في أثناء الصلاة، وهو لها كاره فلا يترك الصلاة، لأن آفة الرياء في العبادات ضعيفة، وإنما تعظم في الولايات وفي التصدي للمناصب الكبيرة في العلم". [٢]

ويجهل المرائي أنه يجب عليه أن لا يعمل عمل الآخرة للدنيا، كما يجب عليه أن يختار بين الله وبين خلقه، لأن" خلق وخالق لا يجتمعان، دنيا وآخرة في القلب لا يجتمعان ، لا يتصور ـ لا يصح ـ لا يجيء منه شيء. إما

---

(١) أبو عبد الله الحارث بن أسد المحاسبي / الرعاية لحقوق الله / تحقيق عبد القادر أحمد عطا بيروت دار الكتب العلمية ط الرابعة ص٢٢٨.

(٢) الإمام أبي حامد محمد بن محمد الغزالي/ إحياء علوم الدين/ بيروت دار إحياء الكتب العربية ٣/ ٣٤٥ .

الخلق وإما الخالق. إما الدنيا وإما الآخرة.

وقد يتصور أن يكون الخلق في ظاهرك، والخالق في باطنك، والدنيا في يدك والآخرة في قلبك. أما في القلب فلا يجتمعان".[١]

من فوائد الإخلاص...

١ـ الإخلاص هو الأساس في قبول الأعمال والأقوال.

٢ـ الإخلاص هو الأساس في قبول الدعاء.

٣ـ الإخلاص يرفع منزلة الإنسان في الدنيا والآخرة.

٤ـ يُبعد عن الإنسان الوسواس والأوهام.

٥ـ يُحرر العبد من عبودية غير الله.

٦ـ يُقوي العلاقات الاجتماعية وينصر الله به الأمة.

٧ـ يُفرج شدائد الإنسان في الدنيا.

٨ـ يُحقق الطمأنينة لقلب الإنسان ويجعله يشعر بالسعادة.

٩ـ يُقوي إيمان الإنسان ويُكَرِّه إليه الفسوق والعصيان.

١٠ـ يُقوي عزيمة الإنسان وإرادته في مواجهة الشدائد.

١١ـ حصول كمال الأمن والاهتداء في الدنيا والآخرة".[٢]

(١) رسالة المسترشدين ص١٤٩ .

(٢) إعداد مجموعة من العلماء / موسوعة نضرة النعيم في مكارم أخلاق الرسول الكريم المملكة العربية السعودية دار الوسيلة ط الثانية ١٤١٩، ١٤٢٠ـ١٩٩٩، ٢٠٠٠ ٢/ ١٤٠

obeikandl.com